

AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY



3 8534 01049 3322

الإمام أبو عبد الله محمد بن
عليه السلام

بسم

محمد بن عبد الله

بكتبة الأزهر

الطبعة الأولى

الطبعة الأخيرة بالازهرية

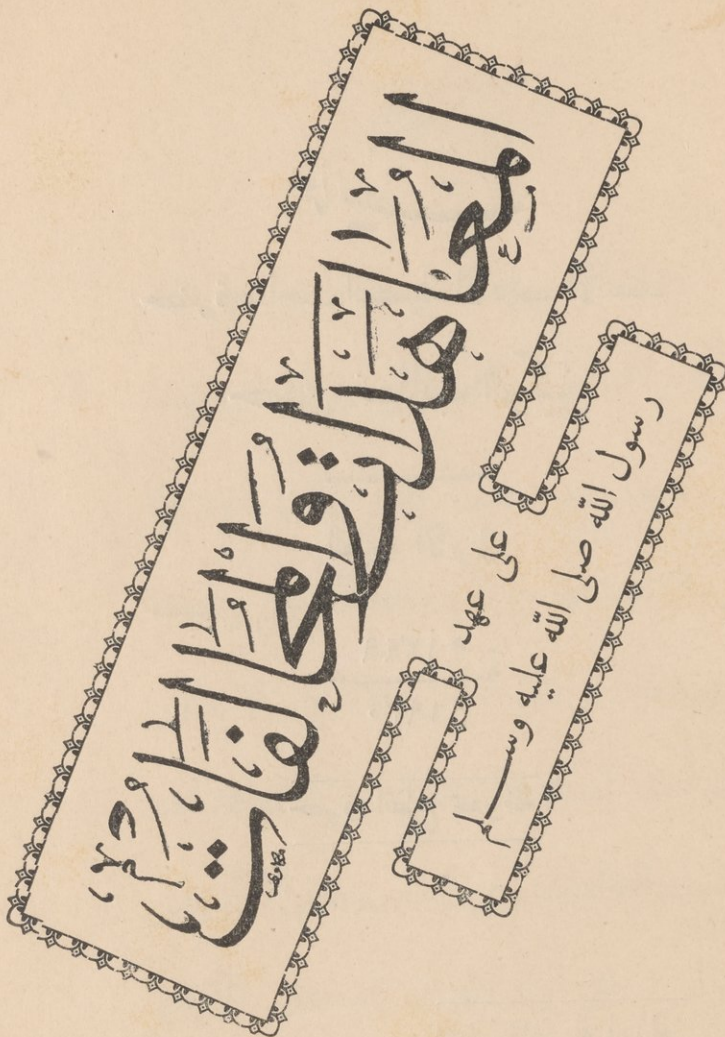
1/2

Hiendz

bn P1b AL 5AD 72

001-B2694 PW

BP
77.69
W35X
1930



٢٨٨

تأليف

حضرة صاحب الفضيلة الأديب الأستاذ

حسن خطاب الوكيل

الطبعة الأولى

سنة ١٣٤٩ هـ
م ١٩٣٠

حقوق الطبع محفوظة

المطبعة المصرية بإشراف

إدارة محمد محمد عبد اللطيف

٢٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حمداً لله ، وصلاة وسلاماً على مصطفىاه
وآله وصحبه والتابعين وكل من اهتدى بهداه
وبعد : فلما كانت الأمم بأخلاقها
والرجال بصدقها ووفائها ومحافظتها على وعدها
وعهدها ؛ وكان الناس مطمئنين لا يدور
بخلد أحد إمكان الاعتداء على المعاهدات
والعيث بالمخالفات ، دون سبب معقول ، أو عذر
مقبول ؛ حتى أراد الله أن تتمخض الأيام
فترينا قيمة المعاهدات الدولية ، في نظر المدنية

الغربية؛ وكانت الأمة الإسلامية خير من
يراعى العهود. ويحافظ على الوعود. وكان
الرسول الأعظم والنبي الأكرم هو القدوة
الحسنة والمثل الأعلى لذلك: رأينا أن نخرج
للعالم نموذجا من تلك الأخلاق الفاضلة
والخصال العالية؛ بطبع تلك المعاهدات التي
عثرنا عليها أثناء بحثنا. وهي سلسلة مقالات
نشرت تباعا بجريدة المؤيد إبان قيام المرحوم
الشيخ علي يوسف باشا بأمرها. وقد كان
طلب من المؤلف وضعها بمناسبة سياسية
وهو عدم احترام وتنفيذ بعض المعاهدات

في ذلك العهد . واليوم ننشرها لتلك المناسبة
نفسها . ليرى العالم مقدار احترام المسلمين
لمعاهداتهم ومحالفاتهم . وما عليه الآن الأمم
الغربية من نقض للعهود وخلف للوعود
وقد طلبنا من حضرة مؤلفها الاذن
بطبعها فأذنتنا جرياً على عادته في محبة نشر
العلم والفضيلة

ونحن بطبع هذه المعاهدات إنما نقدم
للناس الفلسفة السياسية النبوية . ليقارنوا
بين درجتى التقدم الفكرى والرقى العقلى
في القرن العشرين — الذى يدعون أنه عصر

التقدم والنور — وبين القرن السابع
الميلادى . وليدر كوا أن السر فى تلك الآداب
السامية . والأخلاق الفاضلة . والشعور العالى
والحرية التامة . والاستقلال العام . إن هو
إلا بالتمسك بمبادئ دعمت على أسس
الفضيلة الحققة . والعقلية الصحيحة
والله أسأل أن ينفع بها ويجعلها
خالصة لوجهه ؟

محمد محمد عبد اللطيف
صاحب الطبعة المصرية

٥ ربيع الأول سنة ١٣٤٩

٣١ يولييه سنة ١٩٣٠

ذكرى الهجرة

«بم انتشر الاسلام . سبب الهجرة . كيف كان الخروج»

بم انتشر الاسلام ؟

كثرت ما أرجف المرجفون . وافترى المفترون
من أعداء الحق وتجار الزور . أن الاسلام لم
ينتشر أمره . ولم ينبه ذكره . الا بقوة الحسام
في تلك الأيام . وغرضهم الصريح من هذا
الزعم الباطل . إيهام الناس أن من آمن بهذا
الدين الحنيف من ذلك السلف الصالح

إنما قبله مكرها مرغماً . بعد أن أرعبته رؤية
السيف مصلتا فوق رأسه « كَبُرَتْ كَلِمَةً
تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا »
هذا ما تلوكة السنة سمسرة الاحاد تضليلا
بضعفاء اليقين . من المسلمين . وهو وان
لم يكن الا سفسطة على العقول . وكذبا على
التاريخ . لا يخلو من احداث بعض التأثير
لدى مرضى القلوب . وضعفاء النفوس
أجمع رواة التاريخ وثقات رجاله على أن
النبي صلى الله عليه وسلم أقام بمكة ثلاث عشرة
سنة من لدن بعثته الى هجرته . يدعو الى الله

وحده . ولم يك ثمت قتال بين الفريقين
— قريش والمسلمين — اللهم الاصنوف
الأذى وأنواع العذاب التي كانت تلحق أصحابه
ما بين تعذيب للضعفاء . وهزء بالآقوياء .
وإيذائهم له بفحش الكلام

كل ذلك قد كان والنبي مشابر على تأدية
الرسالة . صابر على أذى قريش له ولأصحابه .
يمثل أمر ربه « فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ
مِنَ الرُّسُلِ »

ولطالما جاءه أصحابه وهم بمكة ما بين
مضروب ومشجوج . يشكون له

ما يجدونه من صنوف التعذيب جزاء لهم
على ترك الأوثان . وعبادة الرحمن . فكان
النبي صلى الله عليه وسلم يهتم بتطبيب خاطرهم
اذ لم يكن لديه أمر بالجهاد . فيقول لهم :
اصبروا فاني لم أؤمر بالقتال .

ولما أن اشتد أذى قريش هاجر بعض
أصحابه الى الحبشة . وما زال المشركون
يؤذونه ومن بقي معه من أصحابه حتى أمره
ربه بالهجرة إلى المدينة . فهاجر حسبما اقتضته
مشيئة الله تعالى .

كيف كان الخروج؟

لما كان اليوم الذى آذن فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة . جاء بيت أبي بكر الصديق فى ساعة كان لا يجيئ إليه فيها عادة — وقت الظهر — فلما رآه أبو بكر ماشياً . قال لمن معه : ما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الساعة الا لأمر حدث . ولما دخل الرسول بيت صديقه تأخر له عن سريره وأجلسه مكانه . ودار بينهما من الحديث ما يأتى :-

الرسول — أخرج عني من عندك يا أبا بكر

أبو بكر — إنما هما بنتاي «عائشة وأسما»

وما ذاك فداك أبي وأمي يا رسول الله ؟

الرسول — قد أذن لي بالخروج والهجرة

أبو بكر — الصحبة يا رسول الله

الرسول — الصحبة يا أبا بكر

أبو بكر — ان هاتين راحلتاي كنت

اعدتهما لهذا السفر وقد استأجرت عبد الله

ابن أرقد دليلاً على الطريق . وهذا عامر

ابن فهيرة قد وكلت اليه أمر الغذاء

الرسول — وأنا قد استخلفت علياً بمكة

ليؤدى عنى الودائع التى كانت للناس عندى
ثم يلحق بنا متى أدى ذلك

أبو بكر — وقد أمرت ابني عبد الله أن
يسمع لنا ماتقوله قريش فينا نهاره ونحن
في الغار. ثم يخبرنا اذا أمسى بما يكون من
شأن القوم.

ثم خرجا من خوخة لأبي بكر في ظهر
بيته ثم عمدا الى الغار بشور — جبل بأسفل
مكة — فأقاما به ثلاثة أيام حتى اذا
ماسكن الطلب ركبا متن الطريق الى

المدينة محط الرحال . وكان شعارهما في الغار

« إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا »

فان تكن هناك غزوات فان هناك ايضا

معاهدات ومحالفات

المعاهدة الأولى

وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا
الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ
كَفِيلًا ، إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ

معاهدة الحديبية : سبب عقد هذه المعاهدة

كان من أسباب عقد هذه المعاهدة أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم عزم في
السنة السادسة للهجرة على زيارة مكة وطنه
الأصلي والطواف بالبيت العتيق . فجمع

أصحابه وخرجوا وهم بسلاح المسافرين .
السيوف في الأغمد لا يقصدون شرا
ولا يبطنون غدراً

فلما أن سمعت قريش بمقدم الرسول
هاجها الخبر وثار تائرتها . فجمعت الجموع
وقررت فيما بينها أن لا يدخل عليهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم عنوة أبداً . وأبى
الرسول إلا أن يزور الحرم رغم كل مقاومة .
فاناخ القوم جمالهم . وضربوا خيامهم دلالة
على أنهم لا ينتشون عن عزمهم . ولما استقر
المجلس برسول الله صلى الله عليه وسلم

في خيمته اشار مصرحاً لصحابته بما في نيته .
فقال : لا تدعوني قريش اليوم الى خطة
تسألني فيها صلة الارحام وهي من حرمت
الله الا أجبتهم وأعطيهم اياها وان كان
فيها تحمل المشقة . وفي هذا القول من
تعليم الأمة وارشادها الى مكارم الاخلاق
ولو كانت في أخرج المواقف . ما لا يصدر
الا من نبي كريم . أدبه ربه فأحسن تأديبه !

رسول سلام

كانت خزاعة حليفة بني هاشم في الجاهلية .

فلما رأت تصميم رسول الله صلى الله عليه
وسلم على دخول مكة . وعزم أهلها على صده
عنها . أرادت أن تسعى بالصلح بينهما . حقناً
للدماء . وتجنباً للشحناء . فقام سيدها بديل بن
ورقاء في نفر من قومه . حتى جاء رسول الله
صلى الله عليه وسلم يكلمه في العدول عن
تلك الزيارة بقوله :

يا محمد غورت « بعدت » عن المدينة ولا
سلاح معك . فأجابه النبي صلى الله عليه وسلم :
لم نقدم لقتال أحد ولكنا جئنا معتمرين .
وان قريشاً قد نهكتهم الحرب . فان شاءوا

ماددتهم مدة نترك الحرب فيها . ويخلون بيني
وبين الناس . فان أظهر الله ديني بحيث يدخله
الناس ويتبعوني فيما جئت به . فان شاؤا هم
الدخول فيما يدخل فيه الناس فعلوا . وان لم
يظهر الله ديني فقد استراحوا من القتال . وان
أبوا الذي أقول لك فوالذي نفسي بيده
لأقاتلنهم على أمرى هذا حتى تنفرد سالفتي !
« كناية عن موته »

فقال له بديل : اني أريد الاصلاح يا محمد
وسأبلغهم الذي تقول

فلما أن سمعت قريش من بديل مانقله عن

رسول الله صلى الله عليه وسلم أبت إلا نفورا .
وذهب سعي بديل هباءً منثوراً

السفراء

سفراء قريش الى المسلمين

لما أن فشل بديل بن ورقاء في مهمته .
أخذ قومه ورحل الى بلاده . فاضطرت
قريش الى انتداب سفير من قبلها . يخبر
النبي بتصميمها . ويسعى في ارجاعه عن
عزمه . واختارت لأداء هذه الرسالة عروة

ابن مسعود سيد ثقيف

فلما أخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قاله لبديل بن ورقاء الخزاعي من قبل . اخذ السفير يثبط همته بتعظيم امر قريش في عينه . وكان مما اشار اليه السفير في كلامه : ان المسلمين ليسوا من قبيلة واحدة فلا رابطة تربطهم . ولذلك لا يؤمن فرارهم فاجابه أبو بكر الصديق رضى الله عنه على الفور : ان مودة الاسلام أعظم من مودة القرابة

ثم انتهت مهمة هذا السفير باخفاق مسعاها

ورجوعه الى قومه ناصحا بقبول مطالب

الرسول صلى الله عليه وسلم

ومما قاله لهم في ذلك : —

يامعشر قريش ان محمدا قد عرض عليكم

خطة رشد فاقبلوها . ولقد رأيت معه قوما

لا يسلهون لشيء أبدا . فانظروا رأيكم . ياقوم

رأيت الملوك ما رأيت مثل محمد . وما هو بملك

وما اراكم الا ستصيبكم قارعة

ومع ذلك فلم يجد هذا النصح من قريش

أذناً واعية . ولا نفوساً تستمع القول فتتبع

أحسنه

سفير آخر من قريش

لما أخفق السفير الأول في مسعاه كما
تقدم البيان . اضطرت الى اتداب سفير ثان .
فاختارت الخنيس بن علقم . وكان سيد
الاحابيش «القبائل المجموعة من غير قريش»
فذهب الى معسكر النبي صلى الله عليه وسلم
حيث تأكد أن المسلمين لم يأتوا محاربين
ولامعتدين . وانما جاءوا زائرين معتمرين .
ثم عاد الى قومه ينصحهم بما نصحهم به سلفه
ولكنهم لم يسمعوا له فانزوى يراقب ما يكون
من أمرهم . وعاقبة عنادهم

سفراء المسلمين الى قريش

لما رأى النبي عليه السلام اخفاق سفراء
قريش في مساعيهم . وضياع نصائحهم الى قومهم
أراد حباً في المسالمة أن يرسل لهم من عنده سفيرا
يحذرهم البغي بغير الحق . والعناد فيما يضرهم
ولا ينفعهم . فانتدب لذلك خراشة بن امية
الخزاعي . فانبعث أشقى قريش وقتئذ عكرمة
ابن أبي جهل . فعقر ناقة السفير وهم بقتله .
لولا أن تداركه بعضهم فأنقذه ورده الى قومه
فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم عاد بعثمان

رضى الله عنه لاتتدابه مكانه . وزوده
بكتاب من لدنه . يشرح فيه الغرض من مجيئه
وأوصاه أن يزور مسلمى مكة المستضعفين
معزيا ومصبرا . حتى يأتى نصر الله والفتح
لم تنس سفارة عثمان رضى الله عنه من عزم
قريش فأصرت على عنادها مقرررة منع الرسول
وأصحابه من الطواف مهما كانت النتيجة .
وغاية ما سمحت به أنها أذنت لعثمان وحده أن
يطوف بالبيت . فأبى عثمان الا أن يكون
فى صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فغاض
هذا القول قريشاً وهاج حفيظتها . فأمرت

بسجن عثمان ثلاثة ايام حتى تنظر في أمره .
فتناقل الناس الخبر مكبراً حتى وصل معسكر
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عثمان قد
قتل . هنالك قام النبي صلى الله عليه وسلم
خطيباً قائلاً : ان كان حقاً ما سمعنا فلن نبرح
الأرض حتى نناجز القوم . البيعة البيعة
أيها الناس . فتوافد الناس يبايعون رسول
الله صلى الله عليه وسلم . وكان أول من بايعه
سنان الأسدى فقال له وهو يبايعه : أبايعك
على ما في نفسي . فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم : وما في نفسك . قال سنان : أضرب

بسيفى بين يديك حتى يظهر لك الله او اقتل .
وبايعه الناس على ما بايعه عليه سنان . وفى هذه
البيعة أنزل الله تعالى .

« إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ
يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَاثْمًا يَنْكُثْ عَلَى
نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِنْ يَسْئُوتِهِ
أَجْرًا عَظِيمًا » وَأَنْزَلَ أَيْضًا « لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْ
الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي
قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا »
فلما أن سمعت قريش بأمر البيعة . وبثبات

النبي صلى الله عليه وسلم على عزمه . خفت
من غلوائها . وخلعت ثوب خيلائها . وأمرت
بإطلاق سراح عثمان . وعمدت الى استئناف
المخابرات مع المسلمين . لتأكدها أنهم قوم
يفضلون الموت على الحياة . فارسلت الى
المسلمين سفيرين من قبلها لعقد معاهدة
بين الفريقين — وهما سهيل بن عمرو العامري
وحويطب بن عبد العزى — وكانا من عظماء
قريش وكبار وجهائها . فلما أن رآهما
رسول الله صلى الله عليه وسلم قادمين نحوه
قال لأصحابه : لقد سهل الله لكم من أمركم

هذه قريش تطلب الصلح إذ بعثت لكم
بهذين الرجلين

فلما أن بدأ سهيل المقال . أخذ يضرب
على نعمة سابقه متحمساً في الكلام . حتى
علا صوته في حضرة الرسول عليه الصلاة
والسلام . فناداه عباد بن بشر أن اخفض
صوتك عند رسول الله

وكان من حديث النبي صلى الله عليه وسلم
مع هذا السفير أن سأله : لم لا تخلون بيننا وبين
البيت ؟ فأجابه سهيل : والله لا يتحدث العرب
أنا أخذنا ضغينة أبداً . ولكن لك ما تريده

في العام المقبل . نخرج من مكة وندعها لك
ثلاثة أيام

فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن
يعدل هذا العام عما كان ينويه تسهيلا لعقد
معاهدة يستفيد منها المسلمون راحة وقوة .
ولتكون له الحجة على قريش اذا نكشت
عهدها يوما ما

المناقشة في نص المعاهدة

ولما قرر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يتعاهد مع قريش . دعا بكاتبه أوس بن خولة

وأمره بكتابة صورة المعاهدة. فابى سهيل ان
يكون الكاتب أحداً غير ابن عم الرسول على
ابن أبي طالب. وصهره عثمان بن عفان. فقال
النبي صلى الله عليه وسلم لعلي : اكتب
« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » فعارضه سهيل
قائلاً : لا أعرف هذا. ولكن اكتب « باسمك
اللهم » فقبل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك
وقال لعلي : اكتب « هَذَا مَا صَاحَّ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ
رَسُولُ اللَّهِ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو » فأبى ذلك سهيل
قائلاً : لو شهدت أنك رسول الله ما صددتك
عن البيت. ولا تبعتك. ولكن اكتب اسمك

واسم أليك . فامر النبي صلى الله عليه وسلم
علياً بمحو ذلك . ولكنه أبى قائلاً :

ما أنا بالذي يمحوه أبداً . فأخذ النبي صلى
الله عليه وسلم الصحيفة . وقال أرنيه ومحاه
هو بيده . ثم التفت الى سهيل قائلاً : أنا رسول
الله وان كذبتهموني . وأنا محمد بن عبد الله
ابن عبد المطلب . وعلى ذلك استمر الكاتب
في كتابة المعاهدة حتى أتمها .

نص المعاهدة

«باسمك اللهم . هذا ماصالح عليه محمد

ابن عبد الله بن عبد المطلب سهيل بن عمرو
العامري . على أن تخلي قريش بيننا وبين البيت
نطوف به في العام المقبل . وأن من جاءنا منهم
رددناه وان كان مسلما . ومن جاء قريشا ممن
اتبعنا لا يرد اليها . وأن من دخل في عقد محمد
وعهده دخل . ومن دخل في عقد قريش
وعهدها دخل .

انتقاد على هذه المعاهدة

لما اطلع المسلمون على نص المعاهدة قالوا
للمرسول : أتكتب هذا يا رسول الله ! ؟ يريدون

ان يستردوا من قريش من يذهب منهم اليها
كما اشترطت قريش لنفسها حق استرداد من
يذهب منها الى المسلمين . فقال لهم النبي صلى
الله عليه وسلم : نعم . فانه من ذهب منا اليهم
فهذا قد أبعد الله . ومن جاء منهم الينا فسيجعل
الله له بعد عسر يسراً

الوفاء بالعهد

لم يكذبتم التوقيع على المعاهدة . ويستلم
كل فريق نسخه . حتى حدث حادث برهن
على قيمة المعاهدات في نظر المسلمين وقتئذ

وبيان ذلك: انه كان بمكة جماعة من مستضعفي
المسلمين كما هو معلوم. فلما أحسوا بمقدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم شرعوا يدبرون
الحيل للهرب من أسر المشركين. والالتجاء
الى حمى المسلمين

وأول من نجح تديره منهم أبو جندل
«واسمه العاص» وهو ابن سهيل بن عمرو
العامري «صاحب عقد الصلح»

وكان من المعذنين بسبب اسلامهم. إذ حبسه
أبوه منعاً له من الهجرة. فلما رآه المسلمون
فرحوا به فرحاً شديداً. واما أبوه فقد أخذه

الحق . وملكه الغيظ من ذلك . حتى قام يوسع
ابنه ضرباً ولجماً . وأخبر الرسول صلى
الله عليه وسلم بذلك فتدخل في الأمر
وطلب الى سهيل أن يجير ابنه . فأبى الوالد
طالباً انفاذ العهد . وهنا توسط حويطب
ابن عبد العزى فأجار أبا جندل . وتعهد
أن يكف عنه أباه

فلما رأى أبو جندل أنه لا محالة راجع
الى مكة . استغاث بالمسلمين قائلاً : يا معشر
المسلمين أأرد الى المشركين وقد جئت مسلماً
ألا ترون ما قد لقيت ! ؟ فتأثر المسلمون لهذا

الكلام وأشفقوا عليه . وخاطبوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يكلم أباه ثانية . فقال
النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب أبا جندل :
أبا جندل اصبر واحتسب . فانا قد أعطينا
القوم عهداً وصالحناهم قبل أن تأتي إلينا
ولا ينبغي لنا أن نغدر ولا يصلح الغدر
في ديننا . وقد تلطفت بأبيك فأبي . وان الله
جاعل لك ولمن معك من المستضعفين مخرجا

نتائج التشديد

ولما أن عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم

الى المدينة جاءه فيها احد المستضعفين من
المسلمين بمكة هارباً . واسمه أبو بصير فكتبت
قريش الى النبي صلى الله عليه وسلم تطلبه
وكان مما قالته في ذلك الكتاب : لقد عرفت
ما اهدناك عليه من رد من قدم عليك من
أصحابنا . فابعث الينا بصاحبنا . فقال النبي
صلى الله عليه وسلم لأبي بصير : انا قد أعطينا
هؤلاء القوم عهداً . ولا يصلح الغدر في ديننا
فانطلق مع رسولهم . فقال أبو بصير يا رسول الله
أتردني الى المشركين يفتنونني في ديني !! ؟
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : انطلق الى

قومك فانا لا نغدر . وإن الله جاعل لك من
الضيق فرجا . فلما كانا ببعض الطريق نزلا
للمراحة . وأخذا يتجاذبان أطراف الحديث
فقال أبو بصير لصاحبه وهو يحاوره : أصارم
سيفك هذا ؟ فأجابه الآخر نعم ثم استله
من غمده وهزه في يده قائلاً : لأضربن بسيفي
هذا في الأوس والخزرج يوماً الى الليل
— يريد مسلمي المدينة — فقال أبو بصير موهما
انه لم يسمع : أرنيه أنظر اليه . فلما قبض
على السيف غافل القرشي وضربه ضربة
كانت القاضية . وكفى الله المؤمنين شر

أمنيته . وكان مع هذا الرسول خادم له فلما
راى ما حل بسيده كر راجعاً يطلب المدينة
حتى دخل على النبي صلى الله عليه وسلم والفرع
قد ملأ قلبه فقص على رسول الله صلى الله
عليه وسلم الخبر . وطلب منه الأمان فأجابه
إنك لآمن . وإذا بأبى بصير قدم على إثر
الخادم . وقال يخاطب الرسول صلى الله
عليه وسلم . وفيت ذمتك يا رسول الله وأدى
الله عنك . أسلمتني بيدك للقوم وقد امتنعت
بدينى أن أقتن فيه . وهذا سلب الرجل خمسه .
فاجابه النبي صلى الله عليه وسلم : أما سلب

الرجل فلا حاجة لنا به لأن قبوله غدر
العهد . وأما أنت فان بقيت هنا فلا بد من
ردك اليهم إن طلبوك إذ لا أحب أن يرانى
القوم غير وفى بالذى عاهدتهم عليه

فاضطر أبو بصير أن يغادر المدينة قاصد
الشام وهناك تقابل مع من تمكن من الهرب
اليه من مسلمى مكة المعذيين حتى كمل عددهم
ثلثمائة . فأخذوا يقطعون الطريق على تجارة
قريش مع البلاد الشامية حتى أحست قريش
بما أصابها من حربهم . فخابرت النبي صلى
الله عليه وسلم فى التنازل عما كانت اشترطته

في المعاهدة السابقة راضية أن يأخذ اليه
هؤلاء المحاربين وكل من يلتجئ اليه من قريش

تعديل شروط المعاهدة

فلما شعرت قريش بما حل بتجارها
من التعطيل والكساد بسبب تعرض أبي بصير
وشيعته لمصادرتها وقطع الطريق عليها فزعت
إلى النبي صلى الله عليه وسلم مستصرخة به
راجية أن يكف عنها ما انتابها من أبي بصير
فانتدبت أبا سفيان بن حرب ليقوم بالغارة في
طلب هذا التعديل

سافر أبو سفيان وهو عمدة القوم وعميدهم
قاصدا المدينة . ولما التقى برسول الله
صلى الله عليه وسلم قال له :

يا محمد . قريش تسألك بالأرحام الا
أويت هؤلاء الذين فروا عنها ولا حاجة لها
بردهم فانها قد أسقطت هذا الشرط من الصلح
وقالت قل لمحمد ان هؤلاء الركب قد فتحوا
علينا باباً لا يصلح اقراره

فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلى أبي جندل وأبي بصير أن يقدموا عليه وأن
يلحقا من معهم من المسلمين ببلادهم وأهلهم

وان لا يتعرضوا لعير قريش أو أحد رجالها
ولما أن قدم كتاب النبي صلى الله عليه
وسلم على أبي جندل وصاحبه . كان أبو بصير
يحتضر وفاضت روحه . وكتاب الرسول صلى
الله عليه وسلم في يده يقرؤه فقام أبو جندل
بانفاذ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد
ان دفن صديقه في مكانه وبني عنده مسجدا
حتى تحترم البقعة . وتفرقت العصاة كل إلى
بلده وناسه فاطمان بال قريش على متاجرهما
وهذا روعها مما كانت تخاف وتحذر

انفاذ القسم الثانى من المعاهدة

فى مستهل القعدة من السنة السابعة امر
رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أن
يشدوا رحالهم إلى مكة قضاء للعمرة التى لم
يؤدوها بسبب المعاهدة التى عقدوها مع قريش
وتمتعاً بنصيبهم من هذه المعاهدة — التى أحسنوا
الوفاء بها — فتجهز الناس سراعاً وكانوا ألفين
عداً سوى من تبعهم من النساء والأطفال
والخدم وتقرر أن يخصص للهدى ستون
بدنة قلدت — تميزا لها — وعين على حراستها

ناجية بن جندب . وأمر الرسول صلى الله عليه
وسلم بحمل السلاح وعدة الحرب وبجعلها
في عهدة بشر بن سعد . وأمر كذلك باخراج
مائة من الصافيات الجياد تسير تحت إمرة
محمد بن مسلمة رئيس الحرس

ولما أذف الترحل أمر النبي صلى الله
عليه وسلم ابن مسلمة أن يسبق بالخيـل إلى
مكان على حدود مكة وكانت قريش وقتئذ
تتنسم الأخبار وتستنبئ السفار فانبثت روادها
في جميع السبل تترقب قدوم عسكر المسلمين
ولما أشرف محمد بن مسلمة على الموضع الذي

امر بانتظار النبي صلى الله عليه وسلم فيه رآته
عيون قريش فسألته عن سبب مجيء الخيل
معه فأجاب بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصبح هذا المكان إن شاء الله تعالى فولوا إلى
قومهم منذرين قالوا يا قومنا هذه طلائع جيش
المسلمين قد أقبلت نخذوا حذرکم وأسلحتکم
وانظروا ماذا تأمرون فهاج الخبر قريشا
وثارت ثائرتها ولكن كبراءها وذوى الرأى
فيها أخذوا يهدئون ثورتها، ويخففون حدتها
بقولهم: ما أحدثنا حدثاً نفزع له وإنا على
كتابنا وعهدنا ومدتنا فقيم يغزونا محمد ثم

ستقر الرأي على ان يرسلوا وفدا لمقابلة النبي
صلى الله عليه وسلم والاستفسار منه عن الخبر
اليقين. فقام الوفد برئاسة مكرز بن حفص
ورأى في طريقه إلى النبي صلى الله عليه وسلم
الهدى مقلدا والسلاح متلاحقا فأخذه الرعب
لرؤية السلاح ولما دخلوا على النبي صلى الله
عليه وسلم قالوا : يا محمد والله ما عرفت بالغدر
صغيراً ولا كبيراً. أتدخل بالسلاح في الحرم
على قومك وقد أمنتهم وأمنوك . وقد شرطت
لهم أن لا تدخل عليهم إلا بسلاح المسافر
السيوف في أغمادها

فاجابهم النبي صلى الله عليه وسلم : انا ان
تدخل بالسلح ما داموا على الوفاء . وهذا
السلح الذى ترونه سنتركه فى الخارج لناأتى
به اذا حدث ما يدعو اليه

فقالوا هو الذى عرفت به البر والوفاء
ثم رجعوا الى قومهم مطمئنين ومبشرين بان
محمدآ على عهده لن يخلفه أبداً ماداموا على الوفاء
وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بوضع
السلح فى موضع يسمى « بطن ناجح » وترك
لحراسته مائتين من الرجال تحت إمرة
أوس ابن خولة . ودخل مكة عن

طريق الحجون . وأمر بخيمة فضربت في
الابطح وزينت للناظرين . وأما قریش فقد
خرج بعضهم من المدينة لكيلا يروا المسلمين
في عزتهم وبقى آخرون من دونهم لم يلحقوا
بهم . فدخل المسلمون وهم وقوف صفا صفا
عند دار الندوة واخذ النبي صلى الله عليه وسلم
في الطواف وهو على ناقته القصواء . وأصحابه
بين يديه متقلدين بالسيوف يحيطون به احاطة
الهالة بالقمر . والأكام بالثر
وأخذ عبد الله بن رواحة ينشد وهو
أخذ بزمام ناقة الرسول عليه السلام :

خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ
خَلُّوا فِكْلُ الْخَيْرِ فِي رَسُولِهِ
قَدْ أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ فِي تَنْزِيلِهِ
بَأَنَّ خَيْرَ الْقَتْلِ فِي سَبِيلِهِ
فَالْيَوْمَ نَضْرِبُكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ
كَمَا ضَرَبْنَاكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ
يَا رَبِّ إِنِّي مُؤْمِنٌ بِقِيلِهِ
إِنِّي رَأَيْتُ الْحَقَّ فِي قُبُولِهِ
ثُمَّ أَمَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنْ
يَذْهَبَ مَائَتَانِ مِنْ أَتَمَّوَا الطَّوَافَ فَيَحْلُوا مَحَلَّ

أخوانهم الذين في حراسة السلاح ليأتى هؤلاء
إلى قضاء نسكهم وأقام النبي صلى الله عليه وسلم
في مكة ثلاثة أيام أسلم فيها كثير من أهل مكة
فارتاعت قريش لهذا الحادث وما لبثت أن
جاء عصر اليوم الثالث حتى أرسلت إلى النبي
صلى الله عليه وسلم سفيرها: سهيل بن عمرو
العامري. وحويطب ابن عبد العزى. ونفراً
معهما. فلما دخلوا عليه رأوا علي بن
أبي طالب. فطلبوا إليه أن يكلم ابن عمه في
شأن الخروج لانتهاء المدة. فاعتذر على مشيراً
عليهم بأن يكلموه هم فجاءوه وهو يتحدث

مع سعد بن عبادة فصاح حويطب : ناشدتك
الله والعهد الا ما خرجت من أرضنا فقد
مضت الثلاث . فغضب لذلك سعد ابن
عبادة . وصاح مجيئاً : كذبت لا أم لك ليست
بارضك ولا بأرض آبائك ! والله لا يبرح منها
الا طائعا راضياً !! فتبسم رسول الله صلى
الله عليه وسلم . وقال تعليماً لسعد : يا سعد
لا تؤذ قوما زارونا في رحالنا . ثم التفت الى
حويطب قائلاً : ماذا عليكم لو تركتمونا
بينكم أياما ونولم وليمة نأكل منها سويا
فأجابه حويطب : لا حاجة لنا بطعامك

ناشدتك الله أن تخرج عنا فقد مضت الثلاث
فاجابه النبي صلى الله عليه وسلم : انا قافلون
في المساء ان شاء الله . وأمر من يؤذن في الناس
بالرحيل . ولما رأت قبائل العرب ما أظهره
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوفاء بالعهد
والمحافظة على الوعد . رغبت في محالفته وأقبلت
على معاهدته . فتوثقت عرى المودة بينه وبين
تلك القبائل حتى كان لهم في الشدة نعم العون
كما كانوا له عند الحاجة من النصراء

المخالفة الشائنة

بين خزاعة والمسلمين

وأول قبيلة تنهت إلى ذلك فسعت في
سبيل تمكين أوامر المودة، وتوثيق عرى
المحبة مع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه .
كانت خزاعة إذ أسرعت فعقدت مع المسلمين
المخالفة التي سميناها بالمخالفة الشائنة . وهاك
شرحها: —

سبب عقد هذه المخالفة

كان مما اشترط في معاهدة الحديبية التي

شرحناها فيما سبق . ان من دخل في عهد
قريش دخل فيه . وأن من دخل في عهد محمد
صلى الله عليه وسلم دخل فيه . وبناء على هذا
الشرط تحالفت قريش وبنو بكر واختارت
خزاعة مخالفة الرسول الأمين . ومهد لها
الطريق أنها كانت حليفة جده عبد المطلب
في الجاهلية . فندبت للقيام بهذه السفارة
زعيمها بديل بن ورقاء في نفر من القوم
ولما أن قدم هذا الوفد على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وشرع في المخاطبة . بدأ
بإظهار نص المخالفة التي كانت في الجاهلية .

فقراها أبي بن كعب بأمر الرسول صلى
الله عليه وسلم . وهذا نصها : —

نص هذه المحالفة

« باسمك اللهم . هذا حلف عبد المطلب بن
هاشم لخزاعة حلفا جامعا غير مفرق الأشياخ
على الأشياخ . والأصاغر على الأصاغر .
والشاهد على الغائب . قد تعاهدوا وتعاهدوا
أو كدعهد . وأوثق عقد . لا ينقض ولا ينكث
ما أشرقت شمس على ثبير . وحن بفلاة بعير .
وما أقام الأخشبان ^(١) واعتمر بمكة إنسان .

(١) الأخشبان جبلا مكة : ابوقيس والأحمر :

حلف أبد لطول أمد . يؤيده طلوع الشمس
شدا . وظلام الليل مدا . وان عبد المطلب
وولده ومن معهم ورجال خزاعة متكفئون
متضافرون متعاونون . على عبد المطلب
النصرة لهم بمن تابعه على كل طالب . وعلى
خزاعة النصرة لعبد المطلب وولده ومن معه
على جميع العرب في شرق أو غرب . أو حزن
أو سهل . وجعلوا الله على ذلك كفيلا . وكفى
به حميلا ^(١) وتم الامر بين الطرفين على تقرير
هذه المحالفة وتجديد عهدها الا أن رسول الله

(١) حميلا : كفيلا

صلى الله عليه وسلم اشترط أن لا يعين ظالماً
وإنما ينصر مظلوماً

نقض معاهدة الحديبية

أسلفنا أن هذه المعاهدة كانت تقضى
بوضع الحرب بين قريش والمسلمين الى عشر
من السنين ولكن قريشا التي لم تكن تفتأ
تؤذى المسلمين وتسعى في كسر شوكتهم
واضعاف قوتهم طمعا في محوهم من صحيفة
الكون أبت عليها عداوتها الا أن تلجأ الى
طعن المسلمين وشن الغارة عليهم بطريق
المواربة والاستتار وراء غيرها .

ولما كانت بنو بكر قد تحالفت مع قريش
بعد معاهدة الحديبية كما قدمنا وكانت قريش
من جهة أخرى على علم بما بين بني بكر
وخزاعة — حليفة المسلمين — من العداوة
الموروثة عن الآباء حتى جرت من أجسامهم
مجرى الدماء عمدت الى إثارة الاشجان واهاجة
الاضغان . حتى حرضت بني بكر على
مقاتلة خزاعة

ثورة بمكة

قامت بنو بكر لتنفيذ ما تأمرت عليه مع

قريش وقام في زعامتها نوفل بن معاوية الديلمي
وما زالت حتى نزلت بماء الخزاعة اسمه «الوتير»
فألقت عصا التسيار وشرعت تتلمس سببا
لأشعال نار القتال فأرسلت لذلك رجلا جعل
يتغنى بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
بين بيوت خزاعة. ولما أن سمع الخزاعيون
غناء صاحب بني بكر هاج خاطرهم وما لبثوا
أن اندفع أحدهم إلى ذلك المغنى وضربه فشج
رأسه قياما بحفظ العهد في غيبة المحالف. وكان
مثل هذا الجرح في رأس البكرى سببا كافيا
يبيح لبني بكر طلاب الخصام أن يرتكبوا

من المذابح والآثام ماشاؤا وشاء لهم الانتقام
وانضمت قريش سرا الى حليفها فاعانتها
بالرجال والسلاح حتى ان اشترك في الحرب
ثلاثة من عظماء القرشيين . وهم صفوان بن أمية
وعكرمة بن ابي جهل . وسهيل بن عمرو
« صاحب المعاهدة » هنالك حصحص الحق
وظهر لخزاعة أن الفتنة والبلاء إنما صدرا
عن قريش فالتجأت مهزومة الى الحرم لتتقى
فيه شر هذه الفتنة . ولكن زعيم بني بكر أبي
أن يحرم الحرم رغما عن التنبيه من قومه الى
ضرورة احترام الحرم وهو حمي المتجئين

ومأمن الخائفين واستمرت نار الحرب موقدة
وقريش لا تفتأ تنفخ في الضرام وما درت أن
ذلك منها بغى وعلى الباغى تدور الدوائر
ولما رأت خزاعة ما أصابها من حرب
بنى بكر ظاهرا . ومظاهرة قريش لها في السر
والعلن باشتراك عظمائها في الحرب . أسرعت
تستصرخ النبي صلى الله عليه وسلم فبعثت
إليه بشاعرها عمرو بن سالم الخزاعي — وكان
ممن أسلم من الخزاعيين . وكانوا قسمين أسلم
أحدهما عقب المخالفة مع النبي صلى الله عليه
وسلم وبقي القسم الآخر على شركه — يشكو

الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل بقوميه
من بني بكر وحليفها قريش فخرج يطلب
المدينة وهو يتوارى من القوم خشية أن
تشعر به قريش فتحول بينه وبين أداء رسالته

وصول الخبر الى النبي ﷺ

بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته
يتوضأ لقيام الليل إذ سمعته زوجته يقول
«لييك لبيك نصرت نصرت» فلما عاد من
متوضئه سأله عما سمعته منه كأنه كان
يكلم انسانا. فأجابها: هذا زاجر خزاعة

يستصرخني ويزعم ان قريشا اعانت عليهم
بنى بكر .

وفي الغداة التقى النبي صلى الله عليه وسلم
بعائشة أم المؤمنين رضى الله عنها . فقال لها :
لقد حدث في خزاعة حادث . قالت أترى أن
قريشا يجترئ على نقض العهد الذى بينك
وبينها وقد نصرت عليها فى المواطن كلها . فأجابها :
يا عائشة ينقضون العهد لأمر يعلمه الله
تعالى . قالت : خير . قال : خير .

وبعد ثلاثة أيام من ذلك قدم عمرو ابن
سالم سفير خزاعة فأنشد بين يدي رسول الله

صلى الله عليه وسلم

يَا رَبِّ اِنِّى نَاشِدُ مُحَمَّدًا

حَلَفَ اَيْنَا وَاَيْهِ الْاَتْلَدَا

فَوَالِدَا كُنَّا وَكُنْتَ وَلَدًا

ثُمَّتْ اَسْلَمْنَا فَلَمْ نَنْزِعْ يَدَا

اِنَّ قُرَيْشًا اَخْلَفُوكَ الْمَوْعِدَا

وَنَقَضُوا مِيثَاقَكَ الْمُوَكَّدَا

وَزَعَمُوا اَنْ لَسْتَ تَدْعُو اَحَدَا

وَجَعَلُوا لِي فِي كَدَاءِ رَصَدَا

فَانْصُرْ هَذَاكَ اللَّهُ نَصْرًا أَبَدًا
وَأَدْعُ عِبَادَ اللَّهِ يَأْتُوا مَدَدًا
فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ تَجَرَّدَا
إِنْ سِمْ خَسَفًا وَجْهَهُ تَرَبَّدَا
هُمْ يَتُونَا « بِالْوَتِيرِ » هُجَّدَا
وَقَتَّلُونَا رُكَّعًا وَسُجَّدَا

تحقيق الدعوة

لما فرغ عمرو من انشاده قام رسول الله
صلى الله عليه وسلم يتمشى ذهابا وحيئة

وهو يجر رداءه ويقول: نصرت ياعمرو بن
سالم . لانصرت ان لم أنصركم بما
انصر به . ثم جلس قائلاً : ياعمرو . فقال:
لييك . قال : فيمن تهتمكم ؟
— في بني بكر .

— كلها .. ؟

— لا ولكن في بني نفاثة « حى من بكر »
— ارجع الى قومك وقل لهم أن يتفرقوا
في بطون الأودية وسننظر في الأمر . فرجع
عمرو شاكراً .

ولما كان عمرو من مسلي خزاعة

كانت سفارته نيابة عن مسلميها. فرأى المشركون
منها أن لا بد لهم من سفير آخر يستغيث
بمخلفائهم المسلمين نيابة عنهم

فندبوا لذلك أميرهم بديل بن ورقاء. فخرج
إلى المدينة خائفاً يترقب حذر أن تعثر به
قريش فتقتله إذ كانت قد علمت بخبر خروج
السفير الأول « عمرو بن سالم »

ولما أن سمع النبي صلى الله عليه وسلم
مقالة بديل نصحه بما نصح به سلفه. وهو
التفرق في بطون الأودية حتى ينظر النبي
صلى الله عليه وسلم في الأمر.

فرجع بديل الى قومه وفيما هو ببعض
الطريق اذ التقى بابي سفيان بن حرب مندوبا
عن قريش ليكذب خزاعة في شكواها لدى
النبي صلى الله عليه وسلم وان لم يفلح فلتجدد
العهد فلما التقيا قال لبديل وهو يجاوره: من
أين أقبلت؟ فأجابه بديل مغالطا: من عند
خزاعة في ساحل هذا الوادي. فقال أبوسفيان:
أما كنت عند محمد. قال فالتفت أبوسفيان الى
خدمه قائلا: انظروا بعراقة بديل فان يكن
قد جاء المدينة فقد علف النوى «وكان من
عادة أهل المدينة أن يعلفوا بلهم نوى البلح»

فلما تبين أبو سفيان من بحثه أن بديلا ذهب
الى المدينة . قال له : الآن علمت أنك شكوتنا الى
محمد وها أنا مكذبك فيما قلت . ثم استحث
راحلته يطلب المدينة . ولما دخلها قصد الى
منزل ابنته أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه
وسلم . وجاء يجلس مكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم فطوت الفراش عنه . فأنكر عليها
ذلك قائلا : أرغبت به عني ! ؟

فقالت : أما هذا فراش رسول الله صلى

الله عليه وسلم ! ؟

أما أنت مشرك نجس . فكيف تجلس على

فراشه وانت عدوله ؟

— لقد أصابك بعدى شر

— بل هدانى الله للاسلام . اسمع ياأبت :

اما أنت سيد قریش وكبيرها فكيف يسقط
عنك الدخول فى الاسلام وتعبد من دون
الله حجرا لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك
شيئا ! ؟

فسألها عن مكان الرسول عليه السلام
قالت بالمسجد . فذهب مغاضبا لا يلوى على
احد حتى التقى برسول الله صلى الله عليه
وسلم فى مسجده حيث دارت بينهما محاوره

يكذب فيها خزاعة في شكواها . ويفند عنده
مدعاها . ويسعى في تجديد معاهدة نقضت
قريش شروطها . ومزقت بيد الغدر خيوطها .
وأنى يكون للخائنين عهد يرجى أو
جانب يؤمن . ؟

الصيف ضيعت اللبن

ولما أن سمع رسول الله صلى الله عليه
وسلم مقالة أبي سفيان قال له : نحن على عهدنا
يا أبا سفيان . فأجابه أبو سفيان مغالطا : ونحن
على عهدنا يا محمد

ثم طلب من الرسول عليه السلام تجديد
العهد فأعرض عنه ولم يرد عليه . فذهب الى
أبي بكر الصديق رضى الله عنه يرجوه أن
يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك
فأجابه : ما أنا بفاعل . فتركه وذهب إلى عمر بن
الخطاب رضى الله عنه فأجابه : أنا أشفع لكم
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم . فوالله
لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم !

فلما يئس أبو سفيان ممن بالمسجد غادره
إلى بيت علي بن أبي طالب كرم الله وجهه
فوجدته وامرأته قائمة وبين يديهما ولدهما

الحسن وهو صبي يلعب فقال : يا علي إنك
امس القوم بي رحما . وأدناهم منى قرابة وقد
جئت في حاجة فلا أرجعن كما جئت خائبا .
اشفع لنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأجابه علي : ويحك يا أبا سفيان والله لقد عزم
رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر ما نستطيع
أن نكلمه فيه . فالتفت أبو سفيان الى ابنة
الرسول صلى الله عليه وسلم قائلا : يا ابنة
محمد هل لك أن تأمرى بنيك هذا فيجير
بين الناس فيكون سيد العرب الى
آخر الدهر . فأجابته : والله ما بلغ بني

هذا أن يجير بين الناس وما يجير على
رسول الله صلى الله عليه وسلم احد . فعاد
ابو سفيان لخطاب على قائلا : يا أبا الحسن
انى أرى الامور قد اشتدت على فانصحنى
فاجابه : والله ما أعلم شيئاً يغنى عنك شيئاً
ولكنك سيد بنى كنانة فقم فأجر بين الناس
ثم الحق بأرضك .

فقال أبو سفيان : أوترى ذلك مغنيا
عنى شيئاً . فأجابه على : لا والله ما أظن
ولكن لا أجد لك غير ذلك . وعند ذلك
قام أبو سفيان الى المسجد فقال : أيها الناس

انى قد أجرت بين الناس . فأجابه النبي صلى
عليه وسلم : انما أنت تقول ذلك . وكانت
نتيجة هذه السفارة أن عاد أبو سفيان بخفي
حنين . إذ لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين .
فلما أن رجع الى قومه غضبان
أسفا . قال : يا قوم لقد جئت محمدا
فكلمته فلم يرد على شيئا . ثم جئت ابن أبي
قحافة « أبا بكر » فلم أجد عنده خيرا . ثم جئت
ابن الخطاب فوجدته أعدى القوم . ثم جئت
على بن أبي طالب فوجدته ألين القوم . وقد
أشار على بشيء صنعتته فوالله ما أدري أيغنيني

شيئاً أم لا؟ قالوا: وبماذا أمرك. قال:
أمرني أن أجير بين الناس ففعلت. قالوا:
هل أجاز ذلك محمد؟ قال: لا. قالوا: ويلك
والله ما زاد أن سخر على منك اجلس انك لم
تأت بشيء

خروج رسول الله ﷺ الى مكة

هذا وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانه بعد أن غادر أبو سفيان المدينة دعا الناس
ليستشيرهم في أمر الخروج الى الأخذ بناصر
خزاعة قياماً بواجب العهد فكان من رأى

أبى بكر ترك الأمر الى الرسول عليه السلام
إذ القوم قومه . وكان من رأى عمر الحرب
إذ قريش نقضت العهد وظلمت حلفاء
المسلمين . فكان الأمر ما قاله عمر وأخذ
المسلمون فى إعداد العدة .

ورأى النبی صلى الله عليه وسلم أن
لا يعلن استعداداه قبل تمامه . فأمر بمراقبة
السبل وجعل رئيسهم عمر بن الخطاب رضى
الله عنه فكان يقول للحراس : لا تدعوا
أحدا يمر بكم تنكرونه إلا رد دتموه
ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم

يطلب مكة في عشرة آلاف . فلما كان بذي
الحليفة تلقاه عمه العباس مهاجرا بأهله وولده
وكان في مكة يكتُم إسلامه فقال له النبي صلى
الله عليه وسلم : يا عم أنت آخر المهاجرين وأنا
آخر الأنبياء أرسل بأهلك الى المدينة وعد
معي إلى مكة حتى يتم أمر الله

ولما وصل الجيش إلى الظهران استأذن
العباس رسول الله صلى الله عليه وسلم في
الذهاب إلى القوم ينصحهم بالتسليم وترك
القتال فاذن له فخرج على ركوبة رسول الله
صلى الله عليه وسلم لئلا يرتاب فيه الحراس

وكان الوقت ليلا والقمر منيرا فبينما هو يسير
في الأراك إذ سمع صوت أبي سفيان . وحكيم
ابن حزام . وبديل بن ورقاء . وكانوا قد خرجوا
يتنسمون الأخبار ؛ أما بديل فقد كان
خروجه ترقبا لمجيء رسول الله صلى الله عليه
وسلم وأصحابه نصره لقومه . وأما أصحابه فكان
خروجهما على تخوف من قدوم المسلمين

فلما أن رآهم العباس أصاخ سمعه فسمع
أبا سفيان يقول لمن حوله : انى أرى نيرانا لم أر
مثلا قط . وكان الذى رآه ضوء نار معسكر
المسلمين . فأجابه بديل مغالطا : هذه نار خزاعة

فقطن أبوسفیان لما يرا د وأجاب بديلا قائلاً :
خزاعة اذل من ذلك . فخشي العباس تطاير
الشرر بين الفريقين ان لم يتكلم فنادى مستفهما :
أبا سفيان ؟ فالتفت أبوسفیان فلم ير أحداً
يبد أنه عرف الصوت فأجاب مستفهما أيضاً
ابو الفضل ؟ « يريد العباس » فأجاب نعم ودنا
منهم فقال له أبوسفیان : بأبي أنت وأمي ما جاء
بك هنا الساعة ؟ قال العباس : هذا رسول الله
صلى الله عليه وسلم في المسلمين لقد جاءكم
في عشرة آلاف مقاتل . فقال له أبوسفیان :
ما تأمرني به ؟ قال : اركب معي أستأمن لك

رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله إن ظفر
بكم ليضربن عنقك « وكان أبو سفيان
شديد الأذى لرسول الله صلى الله عليه وسلم
والمسلمين »

فركب مع العباس مطية رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكلما مر على ملاء من القوم
« حراس المسلمين » تهامسوا هذا عم رسول الله
صلى الله عليه وسلم على دابته . ومازالا يخترقان
الجموع حتى مرا برئيس الحرس وهو وقتئذ
عمر بن الخطاب . فلما أن عرف أبا سفيان
وهو خلف العباس . قال له : أنت أبو سفيان ؟

الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد .
واشتد نحو النبي صلى الله عليه وسلم ليخبره الخبر
فاستحث العباس مطيته فسبقت عمر فدخل
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر في
إثره يقول : يا رسول الله مرني أن أضرب عنق
أبا سفيان فقال العباس : يا رسول الله اني قد
أجرته . وأخذ برأس رسول الله صلى الله
عليه وسلم اليه قائلاً : لا ينجيه أحد دوني
فلج عمر في الكلام . فقال العباس : مهلاً يا عمر
وعند ذلك أمن النبي أبا سفيان احتراماً لجوار
عمه . وقال : ائتنى به في الغداة . وفي الغد

قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي سفيان :
يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله
إلا الله ؟ قال : بلى بأبي أنت وأمي يا محمد لو كان
مع الله غيره لأغنى عني شيئاً . فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم : ألم يأن لك أن تعلم أني
رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فأجابه أبو
سفيان : بأبي أنت وأمي أما هذه فففى النفس
منها شيء . فقال له العباس : ويحك يا أبا سفيان
اشهد شهادة الحق قبل أن تضرب عنقك
فأسلم وتبعه حكيم بن حزام وقفى على أثرهما
بديل بن ورقاء . ثم أمر رسول الله صلى الله

عليه وسلم عمه العباس أن يقف بابي سفيان
في موقف يستطيع أن يرى منه جنود
المسلمين بأجمعها أثناء دخولها مكة ولما كان
أبو سفيان ممن يعشق العظمة والفخر سمح
النبي صلى الله عليه وسلم إجابة لطلب عمه
وتأليفاً لقلب أبي سفيان بتأمين من يدخل
دار أبي سفيان محتمياً به

وانتهى الأمر بفتح مكة . ولا حاجة لنا
بشرحه تفادياً من الخروج عن موضوعنا

اقتفاء الأثر^(١)

وقد حدث أنه لما خرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم مهاجرا من مكة إلى المدينة
ومعه صديقه أبوبكر رضى الله عنه أرسلت
قريش في أثرهما الرسل وبثت العيون ونصبت
الشراك وأقامت الارصاد لتحول بينهما وبين
ما يبغيان . وكان مما اتخذته مبالغة في الاحتياط
وحشا على القعود لهما كل مرصد أن قررت

(١) أتينا بذلك في هذا المقام للترتيب التاريخي
لتنفيذ معاهدة سراقة وهى ختام لموضوع « كيف
كان الخروج » صفحة ١٤

جائزة قدرها مائة ناقة لمن يقتل أحدهما أو
ياسره ومائتان لمن يقتلهما أو يأتي بهما جميعا
فتلمظت لتلك الجائزة شفتا سراقا بن مالك
وحدثته نفسه أن يختص بها دون قسيم أو
شريك فاشتد في أثر النبي صلى الله عليه وسلم
وصاحبه حتى أدركهما والرسول صلى الله
عليه وسلم يتلو بعض آيات الله فتنبه له أبو بكر
رضي الله عنه ودخله الخوف فثبت النبي صلى
الله عليه وسلم فؤاده بقوله « إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا » ثم
دعاه ربه « اللَّهُمَّ اكْفِنَاهُ بِمَا شِئْتَ وَكَيْفَ شِئْتَ »
فساخت قوائمه فرس سراقا في الأرض ولم تقو

على مغادرة مكانها . فهال الأمر سراقه وانخلع
قلبه فزعا وهلعا فترجل خشية أن يصيبه ما
أصاب فرسه ونادى : الأمان يا محمد . أنظرني
أكلبك . أنا لك نافع غير ضار . واني لا أدرى
لعل الحمى فزعوا الركوبى . واني راجع رادهم
عنك . فقال النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبه :
سلمه يا أبا بكر . ماذا يبتغى ؟ وما عثم أن أجابه
سراقه : يا محمد ان قومك جعلوا فيك الدية
مائة من الابل لمن قتلك أو أسرك فادع الله أن
يطلق لى جوادى ولك عهد وميثاق أن أرجع
عنك

هنالك دعا النبي صلى الله عليه وسلم ربه
«اللهم إِنْ كَانَ صَادِقًا فِيمَا يَقُولُ فَأُطْلِقْ لَهُ جَوَادَهُ»
ولما أن نجما الجواد عرض سراقاة على رسول
الله صلى الله عليه وسلم أن يتزود من مال له
ما شاء . فأبى الرسول صلى الله عليه وسلم قائلا :
ياسراقاة إذا لم ترغب في دين الاسلام فاني
لا أرغب في إيلك ومواسيك

سراقاة — يا محمد مرني بما شئت

النبي — لا تترك أحداً يلحق بنا

سراقاة — يا محمد اني لأعلم أنه سيظهر أمرك

في العالم وتملك رقاب الناس . فعاهدني اني إذا

أتيتك يوم ملكك فأكرمني . فأمر النبي صلى
الله عليه وسلم عامر بن فهيرة « دليل الطريق »
أن يكتب العهد . فأبى سراقه أن يكون الكاتب
غير أبي بكر فأجيب الى ما طلب . ولما أراد
الانصراف قال له النبي صلى الله عليه وسلم :
كيف بك يا سراقه إذا تسورت بسواري
كسرى ؟ فقال سراقه متعجبا : كسرى بن
هرمز ! ؟ فأجابه النبي صلى الله عليه وسلم : نعم
ولما عاد سراقه الى أهل مكة اجتمع اليه
الناس يسألونه عما حدث له مع النبي صلى الله
عليه وسلم فأنكر في أول الأمر الرؤيا بتاتا

ولكنه عاد فاعترف لأبي جهل بما حدث فلامه

أبو جهل على ما كان منه فأنشد سراقه معتذراً

أَبَا حَكَمٍ وَاللَّهِ لَوْ كُنْتُ شَاهِدًا

لَأَمْرٍ جَوَادِي إِذْ تَسُوخُ قَوَائِمُهُ

عَلِمْتُ وَلَمْ تَشْكُ بِأَنَّ مُحَمَّدًا

رَسُولٌ بَرِهَانٌ فَمَنْ ذَا يُقَاوِمُهُ

تنفيذ معاهدة سراقه

ولما كان عام الفتح «فتح مكة» وعودة

النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه من غزوة حنين

حدث أنه بينما الجيش بالجعرانة «اسم مكان

قرب مكة» اذا بصائح يصيح: يا رسول الله
وانخرط في كتيبة من خيل الأنصار ليصل الى
ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يزل ينادى
يا رسول الله أنا سراقه بن مالك وهذا كتابي
فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أدنوه. هذا يوم
وفاء وبر. مرحبا بك يا سراقه!

هنالك أسلم سراقه وحسن اسلامه. فقال
الحسينيين. وتعلم من النبي صلى الله عليه وسلم
أن وعد الحر دين

الرفق بالحيوان

لقد رأينا أن نستطرد الى ذكر حادثة تدل
على مقدار رفق النبي صلى الله عليه وسلم بالحيوان
نذكرها لأنها حصلت من سراقعة ساعة اسلامه
وذلك أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الضالة من الابل ترد حوضه الذي ملأه
لابله . هل له في ذلك أجر ؟ فأجابه النبي صلى
الله عليه وسلم : نَعَمْ فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ حَرِّى
أَجْرٌ . وفي هذا الحديث النبوى خير دافع
للانسان الى الرفق بالحيوان

والى هنا ينتهى ما أردنا تبليانه عن المعاهدات
والمحالفات على عهد الرسول الأكرم صلى الله
عليه وسلم

يبد أننارى أن يكون مسك ختام هذا
الباب ذكر نوع آخر من المعاهدت وهى
معاهدات الصلح التى تعقد عقب الحروب
ولطالما عقد النبي صلى الله عليه وسلم مثل هذه
المعاهدات حباً فى الصلح والصلح خير . دون
احتياج الى استخدام السلاح . وازهاق
الأرواح . حقناً للدم . وجنوحاً للسلم «وإن
جَنَحُوا لِلْسَّلَامِ فَأَجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ»

معاهدات الصلح

صلح تبوك

سبب عقد هذه المعاهدة خروج النبي
صلى الله عليه وسلم لتبوك «إحدى محطات
السكة الحجازية الآن» حينما علم بتجمع جنود
الروم واستعدادهم للاغارة على المسلمين. فلما
أن وصل تبوك تسامع به عمال الدولة الرومانية
فأسرع بعضهم بمصالحته على دفع الجزية وطلب
الأمان لأنفسهم ولمن تحت إمرتهم من الرعية

فكتب لهم النبي صلى الله عليه وسلم عقود
الصلح بذلك

وهاك نص اثنين من هذه العقود : —

نص الصلح

مع يوحنا بن روبة صاحب ايلة

بسم الله الرحمن الرحيم : هذا منة من الله
ومحمد النبي رسول الله ليوحنا ابن روبة
وأهل ايلة . سفنهم وسيارتهم في البر والبحر
لهم ذمة الله تعالى ومحمد النبي ومن كان معه من
أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر فمن

أحدث منهم حدثاً فإنه لا يحول ماله دون
نفسه وأنه لطيفة لمن أخذه من الناس وأنه
لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه ولا طريقاً
يريدونه من بر أو بحر

نص الصلح

مع أهل جرباء وأذرح

بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب
محمد لأهل أذرح وجرباء انهم آمنون بأمان
الله وأمان محمد صلى الله عليه وسلم وأن عليهم
مائة دينار في كل رجب وافية طيبة والله
كفيل بالنصح والاحسان إلى المسلمين

خاتمة

إلى هنا انتهى ما أورده حضرة المؤلف
في مقالاته

وقد وعدنا بأن يتبع هذا بتأليف رسائل
عدة على هذا النمط وسنوالى طبعها ونشرها
لاظهار عظمة الاسلام وإبراز كريم الفعال
وجميل الخصال التي يحث عليها الشارع
الحكيم والرسول الكريم عليه الصلاة
والسلام.

ونحن بالاصالة عن أنفسنا وبالنيابة عن
سائر المسلمين نكرر شكرنا لفضيلة الاستاذ
على ما يبذله من جهود وثمانين وقت في سبيل
العلم والدين.

المطبعة المصيرية بالازهر ١٠٢ / ١٩٣٠ / ٢٢٥٠

I 14568482

B 12937915

AUC - LIBRARY



DATE DUE

16 MAR 1989

4 - JUL 1991

3 NOV 1991

AUC

10 DEC 1993

20 OCT 1991

24 JUL 1991

24 JUL 1991

77.69

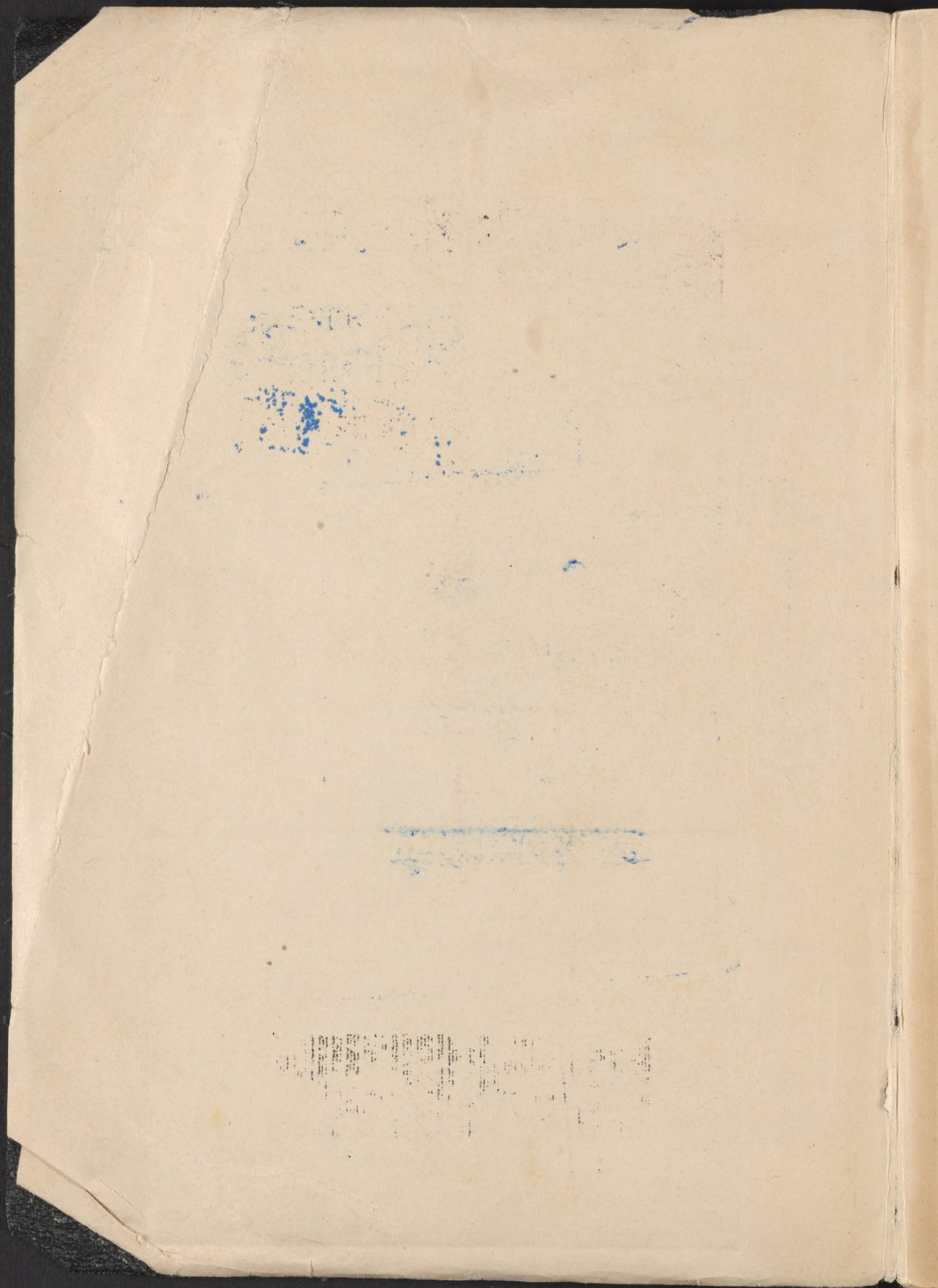
W33X

1930



1 0 0 0 0 1 0 9 0 3 9

- DEC 1984



3P

77.69

W35x

1930